بناء العتبة العنوانية في الأعمال الشعرية لـ "محمد جربوعة"

The title threshold construction in the poetic works of "Mohammed Jarboua"

حاتم أقطي*

جامعة محمد خيضر بسكرة، مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، (الجزائر)

hatem.agti@univ-biskra.dz

سعاد طويل

جامعة محمد خيضر بسكرة، مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، (الجزائر)

souad.touil@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2023/08/23 تاريخ القبول 2023/11/15 تاريخ النشر 2023/12/31

ملخص:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن التشكيل التركيبي والدلالي للعتبات العنوانية في الأعمال الشعرية لصاحبها محمد جربوعة. أُعتمد منهج تحليلي لخمسة دواوين شعرية.

جاء البناء التركيبي لمعظم العناوين جمل اسمية متحررة في دلالاتها أبانت أحوال متعددة لذات سوية مسلمة بالفطرة، معتزة بدينها، متحسرة على وضع أمتها، تعيش المجهول وتعانق الحقيقة، متقلبة في أحاسيسها...، فأبدع الشاعر في وصفها معتمدا تشكيلا بصريا غاية في الدقة والإبهام.

الكلمات المفتاحية: عتبة عنوانية؛ تشكيل بصري؛ بناء تركيبي؛ سيمياء.

* المؤلف المراسل

Abstract:

The study aimed to discover the structural and semantic construction of the title thresholds in the poetic works of Mohammed Jarboua. It based analytical approach, where it was taken five Poetry collections.

The structural construction of most titles was nominal sentences, that are liberal in their connotations, it demonstrated multiple conditions for the normal self, Muslim instinctive, proud of its religion, bemoans the circumstance of its nation, live in the unknown and embrace the truth, fickle in its feelings..., so the poet excelled in describing it through visually formed extremely accurate and vagueness.

Key words: Title Threshold; Visual Formation; Structural Construction; Semiotic.

مقدّمة:

نالت العتبات النصية اهتمام الدارسين في الأعمال الأدبية والنقدية والسيميائية، لما حققته من أهمية تتصل بالوظائف المختلفة التي تؤديها.

تتجلى أهمية الموضوع في طبيعة مادته (المواءمة بين التحليل اللغوي والسيميائي والبصري)، كما يلفت النظر إلى الأعمال الشعرية لأحد أهم الشعراء الجزائريين الذي يجمع شعره بين شعر التفعلية وقصيدة النثر.

إن المحاولات الأدبية السابقة اهتمت بدراسة أحد دواوين الشاعر "محمد جربوعة"، لنركز في دراستنا على جمالية العتبات العنوانية في الأعمال الشعرية لـ "محمد جربوعة" من خلال استكشاف خمسة دواوين هي: "اللّوح"، "مطر يتأمل قطة من نافذته"، "وعيناها..."، "ثم سكت"، و"ممن وقع هذا الزر الأحمر؟"، فما هي المميزات التركيبية والدلالية للعتبات النصية في الأعمال الشعرية لمحمد جربوعة؟ وإلى أي مدى وفرت بتشكيلاتها البصرية فضاء إعلاني وسيميائي لهذه الأعمال؟ ولتحقيق المبتغى انتقلنا في تحليلنا من العنوان الرئيسي للديوان إلى عناوين القصائد مبرزين بذلك بناءهم التركيبي والبصري وما أمده من عمق وتنوع لسيميائية العتبة.

المبحث الأول: العنوان بين المفهوم، الوظيفة، والأهمية

اهتم الشعر العربي الحديث بالعنوان، وأعطته الدراسات الأدبية التركيز اللازم باعتباره الرؤية الأولى للشاعر. وسيتم في العناصر اللاحقة تسليط الضوء على تطور تعريفة أهميته ووظائفه.

المطلب الأول: تعريف العنوان

إن العنوان هو مخاض وتجربة قصيرة أو طويلة وفقا للنصوص والخطابات التي يمر أو يعيش حياتها حتى يخرج ذلك المولود الذي يحمل في جيناته مراحل نموه، "**إذ أن العنوان في وجوده اللغوي الذي يتضاءل إلى حد تشكله من كلمة واحدة، لا يتمكن بلغته فحسب من القيام بتلك الإنتاجية، إذ ليس ثمة غلا معنى الكلمة، وبالتالي فلا بد أنه ينطوي على كفاءة التفاعل مع عدد متنوع من النصوص والخطابات، بما يكفل له قدرة الاضطلاع بوظائفه**"[1]

والعنوان يعبر عن المعنى العام للتنوع الموجود في متن النص من أفكار ومواضيع متشعبة في كلمات موجزة ودالة، لذا يعرفه محمد فكري الجزار بالعبارة الآتية: "**العنوان للكتاب كالاسم للشيء، به يعرف وبفضله يتداول، يشار به إليه، و يدل به عليه، يحمل اسم كتابه، وفي الوقت نفسه يسمه**"[2]، فالعنوان هنا رمز لما يعبر عنه وهو المفتاح والدليل، فيكفي أن نقرأ العنوان، لكي يدلنا على دراسة أدبية أو نقدية لدارس معين ويقودنا إلى ما نبحث عنه، إنه وسيلة مختصرة ومميزة للأعمال.

المطلب الثاني: أهمية العنوان ووظائفه

العنوان على –أهميته– أصبح علما مستقلا له أصوله وقواعده التي يقوم عليها، فهو يوازي إلى حد بعيد النص، كما أنه لم يعد زائدة لغوية يمكن استئصالها من جسد النص، بل أصبح عضوا أساسا يستشار ويستأذن[3].

تعد وظيفة الإغراء في مقدمة وظائف العنوان لتستفز القارئ نحو ولوج وقراءة المتن وتفحصه، ولعل ذلك ما دفع ليهوك إلى تعريف العنوان تعريفا وظيفيا في قوله: **"العنوان مجموعة من العلامات اللسانية التي يمكن أن تدرج على رأس نص لتحديده وتدل على محتواه وتغري الجمهور المقصود بالقراءة"**[4]. من هنا فالعنوان رأس النص وبوابته، يُعتمد على رونقه وجماليته في دفع القارئ إلى الخوض في مسارات المتن، إنه ركيزة أساسية في جلب الاهتمام نحو أي عمل أدبي، وإن لم يحكم سبكه وبناؤه لا يمكنه أن يجذب القراء إليه ولا يحقق وظائفه الإغرائية والإفهامية والتأثيرية والجمالية التي أشار إليها الناقد.

ويمكن تقسيم العنوان إلى أنواع عدة بحسب المعايير، ومن أهم هذه التقسيمات معيار الأولوية، حيث يقسم إلى العنوان الرئيسي والعنوان الثانوي والعنوان الفرعي[5].

المبحث الثاني: بناء عناوين الدواوين

يعد عنوان الديوان جامع لنصوصه مختزلا لدلالاته المتعددة، تستدعي الذهن لتفسير إيحاءاته والمخيلة لفهم إبداعه، وفيما يأتي دراسة للبنية التركيبية وتحليل سيميائي وبصري لعناوين دواوين الشاعر "محمد جربوعة":

المطلب الأول: بناء عنوان ديوان "اللّوح":

اسم الشاعر 'محمد جربوعة' ديوانه بـ "اللّوح" لما فيه من إيحائية ورمزية يحفز القارئ على تتبع دلالته من خلال قصائد الديوان مجتمعة، فقد جاءت صيغة العنوان جملة اسمية غير تامة التركيب، وكلمة اللّوح مبتدأ لخبر محذوف تقديره موجود وهذا الحذف دلّ على اغتراب لغوي إذ تسقط نهاية الجملة فتمنع اكتمالها ما يرمي إلى جزئية المعرفة العلمية التي لا بد أن تردف بمعرفة دينية، فالإنسان لا يكتمل علمه إلا بخلق.

"ذكر اللّوح المحفوظ في التنزيل الكريم مرة واحدة، وقد جّعل محلاً: للقرآن المجيد" [6]رمز للثبات ﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ**﴾[7] فعبر به الشاعر

عن المبادئ الإسلامية الخالدة التي لا تفنى برغم رياح الفتن الراغبة في استئصال جذورها. والقرآن ركيزة أساسية لدى أبناء الأمة الإسلامية تستند إليه وتحتمي به من كل الفتن، فهو دستور المسلمين وصراطهم المستقيم، وهو حبل الله المتين وهدايته الدائمة. ولذلك يجب على الأمة الإسلامية أن تعود لتمسكها بمبادئها الدينية إذا ما أرادت أن تقوم لها قائمة من جديد.

وكون الحديث عن بنية العنوان باعتباره علامة سيميائية فلا بد من الإشارة إلى بنية أخرى شكلت حضورا في دواوين الشاعر، متمثلة في بنية التماهي ما بين عنوان الديوان والتشكيل البصري في صفحة الغلاف كعتبة قرائية ونصا موازيا يقرّب المعنى ويعرّف القارئ بنص العنوان، فاختير اللّون البني لصفحة غلاف ديوان "اللّوح" مركزا بذلك الشاعر على أهمية جذور[8] الأمة الإسلامية، فهي خير أمة أخرجت للناس ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾[9]. كما رسم على جانب الغلاف صورة اللّوح بلون بني طيني الذي يستخدم في تدريس القرآن الكريم مع قلم للكتابة المصنوع من القصب، فكان اللّون رمزا للحبر والمداد الذي تُخط به الآيات القرآنية على اللّوح فيبعث الهدوء[10] ويمحى بالصلصال، مما يشير بأن الشاعر راغب في تذكير الإنسان بأصل تكوينه الأول ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ**﴾[11] لا سيما ذلك الذي عاث فسادا في الأرض وأكثر فيها الفتن، وكتب عنوان الديوان بالأبيض الدال على طهارة ونقاء[12] آيات الذكر الحكيم وصدق كلام الله تعالى.

ويمكننا القول أيضا إن الشاعر يحن إلى أيام صباه حيث زمن البراءة والعفوية التي يفتقده، كما يستذكر زمن الكتاتيب متحصرا على أفول نبراس لغة الضاد ويبكي طريقة تعليمية أنجبت عديد العلماء وكونت مختلف الأجيال. ورسم اللّوح على شكل مستطيل جزءه الاعتدال والنظامية في الدين الإسلامي مع تقويس في الأعلى رمزا للقبب الدال

على سمو الحضارة الإسلامية، وقد تم تنظيف اللّوح بالصلصال ثم تسطيره و الكتابة عليه بالصمغ الذي يذكرنا برائحته المميزة وطريقة القراءة والحفظ الجماعي في الكتّاب.

المطلب الثاني: بناء عنوان ديوان "مطرٌ يتأمل القطة من نافذته":

جاء هذا العنوان جملة اسمية غير تامة التركيب بحيث (وقع مطر) خبر لمبتدأ محذوف (هو) (ويتأمل القطة) جملة فعلية في محل رفع صفة للمطر، من نافذته جار ومجرور ومضاف إليه. نلمس في هذا العنوان خيال تصويري يكمن في تبادل مجلات الإدراك بحيث شخص الشاعر المطر وهو شيء مادي إلى إنسان عاقل يتأمل فرفع من قيمته، كما يحمل العنوان مفارقة ضدية تبادل الأدوار بين القطة والمطر. وما يميز هذا العنوان أنه يحمل وظيفة إيحالية لدلالات بعض قصائد الديوان، وتمثلت القصائد التي تدل معنى المطر، التأمل، والقطة في كل من: (أمسية شعرية، مطر ليلي، مطريات، على نوافذ الانتظار، وساوس أنثى في مساء مطر، هذيان مشتاقة في مساء شتوي، وساوس أنثى في مساء مطر، سر كبير لقطة حذرة، تخمينات حول قطة القصيدة)، كما حمل عنوان الديوان وظيفة تفسيرية لحالة الشاعر، فالمطر يشير إلى انقلاب مناخي يماثله انفعال داخلي لدى ذات تشعر بالحزن وتنهمر دموعها مع تساقط زخات المطر، أما دال التأمل فيحيل على لحظات انبعاث الخيال ونشوء الإبداع وبلوغ الكتابة، والقطة دال يختزل عدة مدلولات تجتمع كلها لتصب في الانزلاق والمراوغة المغلفان بالوداعة. فهي القصيدة في قول الشاعر:

هي لا تبوحُ، ولن تبوحَ بسرّها

أبدا، وإن طالبتَّها، تتجنبُ [13]

وهي المرأة في قوله:

خَمشُ النساء إذا غضبنَ مصيبةٌ

وإذا لسعنَكَ – لا أراكَ...– فعقربُ [14]

وهي المدينة فيما كتبه الشاعر على الغلاف الخلفي للديوان:

مطرٌ

على شَعر المدينة يمسحُ[15]

أما من الناحية السميائية، فنجد على غلاف الديوان كتابة باللون الأسود مع صورة لقط أسود وراء نافذة خلفها قطرات مطر متهاطلة في حلكة الليل . وكل هذا يحيلنا إلى توقع نوع القصائد في متن الديوان التي تحمل ظلال واقع وهمي تتصوره الذات في ليلة ممطرة ملهمة تحجب عنه الشعور بالحاضر وتحمله إلى بحر من أحداث في لحظة من لحظات الغياب تعود به إلى زمن ماض جميل. وهذا ما يؤكده الشعر المكتوب على الغلاف الخلفي للديوان.

مطرٌ

على شَعر المدينة يمسحُ

مطرٌ رقيقٌ

ناعمٌ لا يجرحُ

....

فأغيب في الماضي الجميل

وأسرحُ[16]

وكأن المدينة تغتسل من درنِها كلما انهمر المطر فتشعر بكيانها ووجودها المتجدد وتعود إلى نقاءها الذي دنّس بنعال الزيف الإنساني.

المطلب الثالث: بناء عنوان ديوان "ثم سكت!!":

صيغ العنوان على شكل جملة فعلية (سكت) قبلها حرف عطف وترتيب (ثم)، سكت فعل ماضي والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو)، وهي جملة معطوفة على جملة محذوفة تتضمن قولا مجهولا، فلا بد أن فعل الصمت جاء بعد فعل قول تم إسقاطه ربما لعدم أهميته أو لعدم جدوته أو لكون الصمت أشد بلاغة من أي مقولة تقال، والأكيد أن الشاعر من خلال هذا العنوان يميل إلى الصمت في زمن الصمت وتكميم الأفواه، لذلك استعان الشاعر بالتشكيل البصري للاقتصاد في الإشارة اللغوية معتمدا على تكرار علامة الوقف نهاية الجملة الدالة على الحيرة والارتياب والبعثرة والتذبذب.

فإذا كان العنوان قد كتب قبل بداية القول الشعري فإن التعجب دال على أن الشاعر يرفض كتابة لا جدوى لها، فالكلمات البائسة لا فائدة ترجى منها إن لم تغير وضعا أو تبدّل واقعا والتعجب هو تساؤل يفضي إلى إشكال مفاده لماذا صمت وهو لم يقل شيء أذلك خوف أو انقياد وتسليم، وإذا كُتب العنوان بعد نهاية القول الشعري فإن ذلك القول كفيل بالتعبير عن موقف الشاعر، وقد يعني أن القول الشعري لخص وضعا محبطا لا يحسن الكلام بعده.

وإذا ما ربطنا بين العنوان الرئيس والعناوين الفرعية وجدنا أن الشاعر أفرغ كل مكبوتاته وشحناته من غضب وسخط على حال الأمة العربية كونها أمة مستهلكة لا منتجة وأمة تابعة لا متبوعة، كما أدركنا أن اختيار الصمت كان لأمرين الأول أن اللغة لا

قيمة لها إلا إذا جسدها الشاعر ليرتقي بها من القاموسية إلى الإيحائية فكان عنوانه إيحائيا مكثفا، والثانية أن مبرر صمته هو تحفظه وتحصره على قول لم يفهم وحقيقة لم يعتد بها.

وقد كتب العنوان بلون أحمر ليعانق لغة دموية تحمل فتنة وضغينة [17] وتترجم صراعا وانقساما بين الأشقاء كان سببا في غياب الوحدة العربية. أما الصورة المجسدة على الغلاف فتحيل إلى شخص غابت ملامحه إشارة إلى غياب الهوية أي أن الإنسان العربي لا قيمة له بين الأمم الأخرى وتجلى ذلك في قول الشاعر:

ما من مطار أجنبيٍّ

يبتغي منكم سوى

(مال السياحة

والطبابةِ

والدراسةِ)

بالحرام وبالحلالْ [18]

وتدل طأطأة الرأس على القهر من جهة والذل والهوان من جهة أخرى. بينما يوحي البساط بألوانه النارية عن احتراق ناتج عن فتنة داخلية تعيشها الأمة العربية والإسلامية نعده صراعا فكريا انتح الانقسام لذلك نجد دائرة الرأس منشطرة إلى أكثر من جزء أما صورة الجسد فأخذت ملامحها من هندسة معمارية إسلامية وكأنها تحيل إلى أن ذلك الصراع هو أيضا صراع ديني طائفي.

المطلب الرابع: بناء عنوان ديوان "وعيناها..":

صيغ العنوان جملة اسمية معطوفة غير تامة التركيب نتيجة لحذف جملة المعطوف عليه (هي المرأة) والإبقاء على الجملة المعطوفة لوحدها دال على ذات تتعلق بالمعطوفات لاغترابها النفسي وشعورها بالوحدة.

جاء هذا العنوان موحيا ومحيلا إلى قصائده حيث يركز الشاعر على سحر العيون وكأنه يراها الباب المنقذ الذي يشعّ منه نورا يسدل شباكه على القلب ليُذهب العقل فيسرح المرء مع تلك العيون في حوار وردي، وهو ما دلّت عليه عناوين بعض القصائد (عينا امرأة سياسية، الأميرة المتحجبة، إلى ذات عينين جريئتين تقلّب صوري يوم عطلتها الأسبوعية).

يتراء إلينا أن عنوان الديوان فيه نقاط توتر تدل على اضطراب الشاعر وهو ينظر إلى تلك العيون وكأنه أراد إشراك القارئ في تخيل ما تحدثه العيون من ارتياب ودفع المتلقي إلى منح أوصاف لهاته العيون أو توقع ماذا ستترك ردود أفعال لرائيها.

من الناحية السيميائية نجد العنوان موجود في غلاف بلون بنفسجي وعليه صورة امرأة بالبرقع لا يرى إلا عيناها مستترة بنظارات وصورة لعين واضحة المعالم في اتساعها، كأن الشاعر أراد من خلال تلك الصورة تكريم المرأة بإيمانه أن الحجاب لا ينقص من جمالها شيئا، والعين في اللغة الصوفية تدل على الحقيقة [19] أي أن الشاعر يجسد لحظة من لحظات التجلي حيث ترتقي الذات لتتماهى في الذات الإلهية فتعانق لحظات الكشف وعندها تتمكن من رؤية الحقيقة، فالعين مجال تسبح الذات خلاله وتسمو منتقلة بين الأحوال والمقامات حتى بلوغ العوالم النورانية، وما الحجاب إلا ستر وبرزخ فاصل بين الذات والذات الإلهية. أما اللون البنفسجي فيرمز إلى الطهارة والإيمان والطاعة، والإدراك والحساسية والمثالية [20] وهذا ما يتطابق بشكل دقيق مع وصف ذات توازنت بعد هجرة عالمها الدوني.

نجد أن الشاعر وضع عنوان فرعيا للديوان "شعر (والله أعلم)" وهي عبارة تصدم القارئ وتدفعه إلى التساؤل هل الشاعر يشكّك في نفسه؟ أم يشكّك في نصه؟ بل لعله يتأسف مثل كل مرة عن واقع لا يعطي للشعر قيمته ولا يدرك منافعه.

كما اختار الشاعر في الخلاف الخلفي أحد نصوصه الشعرية في الديوان "**فالنص المختار يمثل البنية الرئيسية للتجربة الشعرية العامة للديوان**"[21]، فكان المقطع المختار من قصيدة "عينا امرأة سياسية" وما لفت الانتباه كتابة أحد الأبيات بلون بني طيني معبرا عن فحواه: فلتكسبي في الطين بعضَ ثوابِ كما كتب البيت الموالي بشكل مائل ليعطيه الوزن الأكبر فيجعله بمثابة عنوان بديل للديوان: **لا تُظهري عينيك..خافي ربَّنا**[22].

المطلب الخامس: بناء عنوان ديوان "ممن وقع هذا الزر الأحمر؟":

وقع العنوان جملة فعلية، (ممن) مِن حرف جر لا محل له من الإعراب، مَن اسم استفهام في محل جر اسم مجرور والجار والمجرور متعلقان بفعل وقع، (وقع) فعل ماضي، (هذا) اسم إشارة في محل رفع فاعل، (الزر) بدل، (الأحمر) صفة.

ويفصح الغلاف على أشكال مختلفة ترسمها الحروف والعلامات معتمدة "**التشكيل الطبوغرافي والواقعي والتجريدي الذي يُعنى بالرسم الكتابي**" [23] فصيغ عنوان الديوان على شكل تساؤل مما يوسّع أفق الدلالة ويستثير القارئ في الخوض في الاحتمال، وقد اختار الشاعر عنوان الديوان من إحدى عناوين قصائده ملفتا انتباهنا إلى جزئيات قد نتغافل عنها. أما سيميائيا فتتكرر عندنا صورة الذات المتأملة الحائرة المستفهمة، فكلمة

الزر شكلت يدين ممدودتين أما كلمة الأحمر فشكلت بقية الجسد. **"وقد تحيل الدوائر المفرغة والمرتبطة بالسكون المعلق على جسد الكلمات إلى عبء ما تعبر عنه من دلالات لكونها تصل بين المحيط والمركز؛ أي بين الروح والعاطفة"**[24] وكتب العنوان باللونين الأصفر والأحمر على محيط أسود، فالشاعر من محبي اللون الأصفر كونه يبعث بالنشاط والإيحاء[25] الذي يكتنف الشاعر وقت مخاض شعره، لكن يشوبه نوع من الضبابية والسواد موحية إلى مواجهة المجهول بذات تسومها القلق والتوتر، ويمتزج مع اللون الأحمر معبرا عن نار الحب[26]، فشكلت الأحاسيس المتناقضة نوعا من الجدل في العنوان يفتح أفقا لحرية قراءته وبكل الاحتمالات الممكنة، فرسمت علامة الاستفهام بحجم كبير ملحة على الإجابة مذكرة بعدم تجاوز أي احتمال.

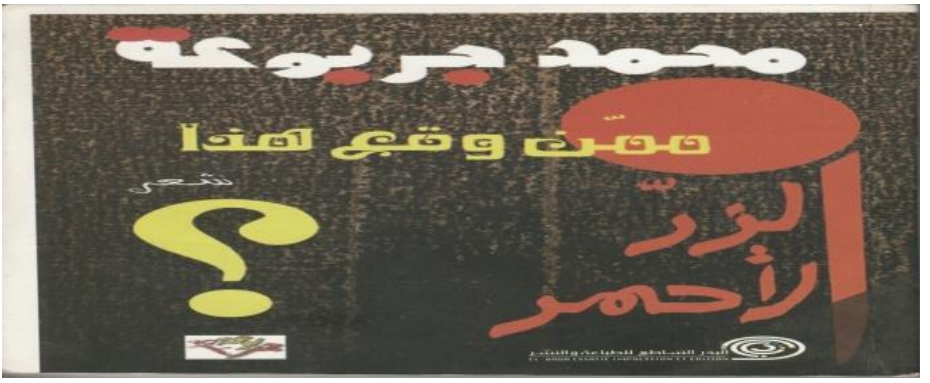

ونرى في الغلاف الخلفي صورة غير واضحة للشاعر مع مقطع من قصيدة "ممن وقع هذا الزر الأحمر؟" يوضح فيه بداية حكايته مع الزر اللغز، ليثير انتباهنا إلى حالة الحيرة عند الشاعر، فكان السؤال هو أولى مصادر الكتابة الشعرية.

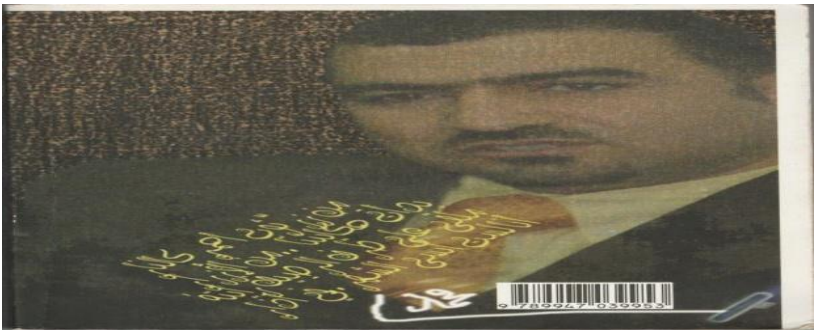

المبحث الثالث: بناء عناوين القصائد

المطلب الأول: المناص

يعد التشكيل البصري أحد أساليب الدعاية للنص الشعري فهو وليد "**الصراع بين ثقافة الكلمة وبلاغتها الشفهية وثقافة الصورة، في مجالات الاقتصاد، والتعليم والإشهار، والإعلام، والسينما**" [27] وأول ما يصطدم به الجمهور المستهدف في الشعر هو العتبات النصية، فالبحث في العلامات والأيقونات المصاحبة لبعض القصائد من شأنه أن ينير درب المتلقي ويعزز فهمه للمضمون، وتتمثل هذه الأيقونات في تاريخ ومكان كتابة القصيدة والإهداء والعبارات التي تذيل بها بعض القصائد.

إن "**المقدمة بوصفها نصا موازيا تضع للنص محيطا وتقدم حوله إيضاحا يعسر على القارئ العادي الإحاطة به دائما، كما توفر للنص بعدا تداوليا، وتعمل على التأثير في القارئ مشكلة ما يمكن تسميته الميثاق التمهيدي**" [28]، وإثر تفحصنا لدواوين **'**محمد جربوعة**'** نجد أن صدر ديوان "وعيناها.." بمقدمة يشرح فيها الشاعر علاقته الروحية بالشعر إذ هو صديق رحلته المتعبة، إنه بحاجة إلى وسادة شعر يتكئ عليها كلما أحس بثقل الحياة، لذلك يعود إليه مرغما رغم محاولاته الابتعاد عنه، فالشعر يسكنه وينتمي إليه، كما أرجع أصوله الأولى إلى البساطة والنقاء من جهة والترفع والسمو من جهة أخرى.

وقد ذيّل الشاعر جل قصائد ديوانه بتاريخ الإيداع فيذكر اليوم والشهر والسنة الميلادية، إذ قد يساعد هذا السياق الزمني القارئ في فهم حيثيات كتابة النص ومبرراتها، وتثبت تلك التذييلات أن الشاعر قد كتب معظم قصائد الديوان في فترة لا تتجاوز الستة أشهر بين عامي 2012 و 2013م.

واستخدم الشاعر التمهيد في خمسة قصائد في الديوان وهي: (قولي لها، جرح عثمان، سؤال خطير حول قبيلة بني عذرة، موصلية، ما في حدا)، وذلك لتسليط الضوء والكشف وشرح ما قد يستعصى فهمه، إذ سبق قصيدة "قولي لها" تمهيد طويل يروى حدث بتفاصيله: "**اتصلت بي إحدى الأستاذات الجامعيات..أخبرتني أن إحدى طالباتها سالتها عن معنى بيتي لي، وحين قالت لا تعرف شاعرا بهذا الاسم، ردت عليها تلميذتها: ....فكتبت:** " [29] يثبت هذا التمهيد أن لنص الشاعر أثر في المتلقي على الرغم من تجنب قراءته ومعرفته من قبل البعض، فالتمهيد يجعل المتلقي في غاية الشوق إلى النص فيدفعه إلى معانقته قبل قراءته.

وقد أسفر التمهيد الذي سبق قصيدة "ما في حدا" دلالة عن تمكن الشاعر من النثر لمن لا يعرفه ناثرا فكان التمهيد بنص نثري متميز تميز النص الشعري.

ويبدو أن الشاعر قد استخدم القاموس الشعري ليتبع نصوصه ببعض الشروح، فنجد في ديوان "وعيناها.." ثلاثة قصائد أتبعها في النهاية بشرح لبعض الكلمات، فقد تأتي ألفاظ صعبة الفهم وغير متداولة أو قد يستخدم عبارة عامية من منطقة معينة. وقد رقّم الشاعر قصيدتين من ديوانه هما: (سؤال خطير حول قبيلة بني عذرة، عن الطفل الذي يسكنني ويسكنها).

والقارئ لديوان "ثم سكت!!" يلحظ أن قصائد الديوان كلها مرفقة بتاريخ الإيداع إلا قصيدتان، فكتبت قصيدة "امرأتان، زمنان وقصيدة" دون أي تاريخ لتعطي حرية تامة للقارئ في تأوليها بعيدا عن سياقها الزمني أو لأنها قدمت شعره على أنه مرجع لا يقارن

بما كتب عن امرأة في زمن آخر قد تختلف هي أيضا عن المرأة التي يكتب عنها الشاعر. بينما ذيلت "إلى محبطة تسيء الظن بدولة الورد" بتاريخين هجري وميلادي وهذا تخليدا لذكرى أحداث الانقلاب الذي وقع في مصر وما رافقه من وحشية في قتل شعب أعزل، حي وقعت هذه الأحداث في شهر رمضان المبارك والنّاس ركّع سجّد، وفي متن القصيدة تبرز دولتين واحدة همجية والثانية دولة الورد ممثلة في الدولة الصائمة التي تنشر الفرح والسلام.

كما نجد ثمانية قصائد لها تمهيد، أما المميز في قصيدة "في محطة الغياب" أن تمهيدها جاء على شكل إهداء **"إلى كل منتظري قطار الورد في محطة الغياب .. شكرا لأعينكم المترقبة .. لأقدامكم المتعبة .. لقلوبكم التي وقفت قريبة .. ترفع شراعينها إلى السماء ..وتدعو.."** [30] إذ تقوم عتبة الإهداء "بتحديد خصوصية ونوعية المرسل إليه متجاوزة الوظيفة التزينية والاقتصادية إلى الالتحام برؤية الشاعر" [31] فحمل هذا الإهداء شفقة الشاعر على حال كل منتظر لعزيز طال غيابه، فكان المرسل إليه كل مشتاق، مترصد، صابر، ومبتهل.

والمختلف في قصيدة "حالان" هو أن تمهيدها نصا شعريا مستحضرا من التراث، فقد تصدر القصيدة بيتان، الأول للشاعر 'علي بن عبد الغني الفهري الحصري':

يَا لَيْلُ الصبُّ مَتَى غَدُهُ

أَقِيَامُ السّاعَةِ مَوْعِدُهُ [32]

وبيت آخر لأمير الشعراء 'أحمد شوقي':

مُضناكَ جَفاهُ مَرقَدُهُ

وَبَكاهُ وَرَحَّمَ عُوَّدُهُ[33]

إذ يركز البيت الأول على المعطى الزمني الذي شخصه الشاعر ليظهر قوة تأثيره على الذات الإنسانية، في حين أكّد البيت الثاني زمن الشجن والبكاء والألم، وعند الجمع

ندرك أن للإنسان حياة سيزيفية نتيجة مأساة مستمرة، عاد الشاعر لوصفها في خاتمة القصيدة مستعينا بيت للشاعر علي بن عبد الغني الفهري الحصري "((مَا أَحْلَى الوَصْلَ وَأَعْذَبَهُ لَو لا الأَيَّامُ تُنَكِّدُهُ))"[34]. أمّا باقي التمهيدات عبارة عن كتابة نثرية شارحة للعنوان وللقصيدة.

كما توجد في هذا الديوان ثمانية قصائد مختومة بتهميش يشرح فيها الشاعر بعض الألفاظ والعبارات غير المفهومة. إذ نلحظ في قصيدة "أنا لا أفكر في عهدة حب أخرى" أن الشرح في الهامش طويل لاحتوائه على أبيات للشعراء عدة منهم بيتين للصحابي 'عبد الله بن رواحة رضي الله عنه' وشرح وتفسير للأديب الأندلسي 'ابن عصفور' وبيت للشاعر 'عمران بن حِطّان' وبيت للشاعر 'العجّاج'.

وقد اختتمت معظم قصائد ديوان "اللّوح" بتاريخ الإيداع، منها ما اكتفت بالتاريخ الميلادي فقط وعددها (عشرة قصائد)، بينما لم يرد التاريخ في ثلاثة قصائد، إذ لم يرتبط فحواها بحدث ما بل حملت ألفاظا صالحة لكل زمان ومكان.

وامتازت قصيدة "حسان بغداد وفتوى الحسن البصري" بذكر التاريخ الميلادي ومكان الإيداع، وفيها يتألم الشاعر عن حال وحيرة أهل العراق عندما فقدوا صاحب القرار والرأي والمشورة، فمثله الشاعر بحسن البصري، حيث يجمع بينهما قوة الشخص وقوة البلد في حقبته، وهذا ما ذكّره بوضع سوريا الحضارة وسوريا في 2010 إذ كتب القصيدة أثناء تواجده بدمشق:

وليس في البصرةِ (البصريُّ) يحسمها
أو امرؤ القيس يدعو المفتيِيْن" ((قفا
بين الدخول على شطآن دمعتها
نبكِ التبسّم حول الجرح إذ نزفا))[35]

ثمة خمسة قصائد لها تاريخ ميلادي وهجري، فخصها بالتاريخ الهجري لكونها تختص بحدث ومعنى مميز في التاريخ الإسلامي، فقصيدة "فرسان بدريتان تتعبان قلب شفرة (الطيب)" كتبها الشاعر على إثر الذكرى الخالدة لغزوة بدر الكبرى ووظف الفرس في القصيدة على غير العادة ليحكي قصة فرسين وحيدتين شاركتا في الملحمة الإسلامية الأولى وشملهما بالمدح والثناء:

أغلى مِن العينين، إنّهما هُما

فَرَسان –لو تدرينَ– ما أحلاهما

تتمايلانِ، كظبيتينِ، وكلّما

نظرَ الرسولُ، تهادتا، فتمبسّما

والخيل تؤنس حين تضبحُ في الوغى

وتهزّ قلبا أحمديا مسلما [36]

واختصت بعض القصائد بتخليد المناسبات الإسلامية منها قصيدة "إليك في ليلة القدر" التي كتبت في ضوء حلول ليلة القدر، المعظمة في قوله تعالى: ﴿ **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾[37] وهي ليلة ثمينة لا ينالها إلا المؤمن خالص النية إلى الله تعالى بالتقرب إليه في كامل شهر رمضان بالصيام والقيام يمتد ثوابها كل الدهر. كذلك حمل عنوان قصيدة "همزة العاشورائية" دلالة ذكرى العاشر محرم (عاشوراء) التي أنجى فيها الله نبيه موسى (عليه السلام) ومن آمن معه فشق البحر ليعبر خلاله أتباع موسى وأُهلك فرعون وجنوده.

وذكر الشاعر التاريخ الهجري في قصيدة "عن قلب إبراهيم ابن أدهم في فتنة دمشق" كونها تتكلم عن شخصية بارزة من علماء أهل السنة والجماعة (الشيخ الزاهد إبراهيم بن أدهم الخرصاني) ووصف كيفية انبهاره بدمشق عاصمة الدولة الأموية.

بلغ عدد قصائد ديوان "اللّوح" التي مهد لها الشاعر عشرة قصائد، فمثلا في قصيدة "أسمّي منارة قطبية حبيبتي" جاء التمهيد لها بفقرة نثرية شارحا فيها المنارة القطبية التي سكنت قلبه فخلدها في قصيدته، أما في قصيدة "إيفا" فاكتفى الشاعر بجملة تمهيدية واحدة (عن محنة الحجاب في فرنسا) لخصّت كل أبيات القصيدة وأبانت عن مصادرة الحرية في بلاد تعدُّ نفسها راعية لحقوق الإنسان، فتنفيها عن البلدان الإسلامية التي استعمرتها ضاربة بمبادئ العقيدة عرض الحائط.

ونجد أن الشاعر همّش أربعة قصائد من الديوان شارحا فيها بعض الألفاظ والعبارات، فأعلم المتلقي بالمثل –**"مع الخيل يا شقرة"**[38]– الذي كان مصدر تسمية مهرة الشاعر بشقرة في قصيدة "فرسان بدريتان تتعبان قلب (شقرة) الطيب"، وأعطى الأسماء الأخرى –درمششوق، وجلّق– لدمشق في قصيدة "عن قلب ابراهيم بن أدهم في فتنة دمشق"، كما عرّف بالهيل أحدى نكهات القهوة في بلاد المشرق، تذكره رائحته بأوقات وأماكن يحن لها في دمشق.

ختم الشاعر خمسة وعشرون قصيدة من ديوان "مطر يتأمل القطة من نافذته" بتاريخ الكتابة الميلادي منها ثلاثة قصائد زاوج فيها بين التاريخ الميلادي والهجري وهي: "بائع الورد الجوال، "المزهرية المشروخة"، "سر كبير لقطة حذرة" ولم يقدم التاريخ الهجري أي دلالة مرتبطة بفحوى القصيدة، كما لم يؤرخ الشاعر لأربعة قصائد هي: "عطلة إجبارية" "وإذا سألنكِ"، "عينان"، "تخمينات حول قطة القصيدة"، في حين ذكر في قصيدة "وصايا" التاريخ بكل تفصيل (السنة، الشهر، اليوم، الساعة والدقيقة) رغم عدم ارتباط تاريخ كتابتها بأي مناسبة، سوى شيطان الشعر الذي زار الشاعر في منتصف الليل. وفي هذا الديوان لم يمهد الشاعر للكثير من قصائده إلا ثلاثة قصائد هي: "عطلة إجبارية" كتب في تمهيدها عبارة **"لسيدة تقفز من نافذة في جبين شاعر تجهل علوه"**[39] وهو تكملة للعنوان أعطاه وضوحا رغبة من الشاعر من وضع قصيدته في سياقها الدلالي

المقصود، فهو يؤمن بقوة شعره ويعي حجم التطاول عليه، لكن هيهات هيهات من الوصول لمن كرمه الله وحفظ قيمته.

وكان تمهيد "وساوس أنثى في ماء مطر" توضيحا لأن هذه القصيدة وليدة ردود الأفعال حول قصيدة "على نوافذ الاختيار" فكما كانت الأولى تصف شوقه للقصيدة جاءت الثاني لتصف شوقها له وختمها بتصالح وتسامح وقع بين شاعر وشعر أصبحا تؤمان بفعل السنون.

كذلك كانت قصيدة "تخمينات حول قطة القصيدة" وليدة التساؤلات التي طالت قصيدة "سر كبير لقطة حذرة" حول غموضها لكن هذه المرة لم تكن إجابة بل زيادة في غموض يمتع ويسعد الشاعر.

وقد همّش الشاعر لخمسة قصائد هي: "لحظات من صباحها الخريفي" علّق في هامشها على شطر ليبرأ ثقافتنا من الألفاظ الواردة في البيت ويبرأ نفسه من الدعوى إلى ما يرمز له ويبعد أي لبس في المعنى ((**في صحة الشعراء والأحباء**))[40]. وشرح الشاعر في التهميش لفظ (أسوِرَة) المذكورة في قصيدة "بائع الورد الجوّال". كذلك في قصيدة "معلقة خرائط الجمال العربي" همّش الشاعر لثلاثة كلمات كما فعل في قصيدة "رعشة الياسمين"، وشرح في قصيدة "تخمينات حول قطة القصيدة" قوله: (**يقولون ما لا** ..))، فكُفّي [41] في إحالة لقول الله تعالى عن الشعراء: ﴿**أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ**﴾[42].

وقد اعتمد الشاعر نظام التفريع النصي في ثلاثة قصائد هي: "تلميذ.. وظروفي الصحية لا تحتمل عينيك"، "خماسيات الزنبق"، "محنة قصيد قرطبي في أزمنة محاكم التفتيش"، فيضع رقم في نهاية كل مقطع قصد "تكوين نص متفرع يبدأ من موضع الرقم في النص الأصل"[43]وهو أحد علامات التشكيل البصري التي تسمح بفهم النص المتفرع تجسيدا بصريا.

تميز ديوان "ممن وقع هذا الزر الأحمر" بوضع تاريخ الكتابة في كل قصائده البالغ عددها إحدى وثلاثون قصيدة، منها قصيدتي "عطر" و "عن ناقصة عقل وشعر" أقرن فيهما الشاعر التاريخ الهجري إلى الميلادي حيث كتب قصيدة "عن ناقصة عقل وشعر" في الخامس من رمضان، وفيها ينوّه الشاعر إلى عدم قدرته على اعتزال الشعر شهر رمضان.

وقد مهّد الشاعر لخمسة قصائد من هذا الديوان هي: "عطر"، قلب أخير لسيدة القلب الأخيرة"، "رسالة مقايضة ماكرة"، "مهد الصبي الذي أصبح شاعرا"، "عن ناقصة عقل وشعر" في شكل فقرات نثرية يوضح فيها الشاعر دوافع كتابته للقصائد، فيقول في تمهيد هذه الأخيرة: "**هكذا وُلدتْ هذه القصيدة.. دافعتْ فيها الكلمات فغلبتني وانسكبت..ترددت في نشرها.. لكنها فاجأتني في عيون القراء.. متبرجة بإثم زينتها في الشهر المبارك.. أتعبني الشعر الغلاب**" [44] فلم يستطع الشاعر الاستغناء عن كتابة الشعر حتى في شهر لحظاته أثمن الأوقات في حياة المسلم، ويضيف "**تكفير عن اثم القصيدة: لا تنسوا ختمات القرآن في هذا الشعر الكريم.. فإن خير الكلام ليس هو الشعر، بل كلام الله تعالى** .." [45]محاولا بذلك إراحة قلبه. كما قدّم تمهيد قصيدة "عطر" تفكيرا تجاريا خياليا للشاعر نابع عن تذوقه الشعر بحاسة الشم، التي لها الأثر الأعمق والأبقى في الذاكرة، فأقترن خيال الشاعر بطموح ابتكاري مباح، فيقول في التمهيد: "**هذه ليست مجرد قصيدة.. ويعرف من حولي أنني منذ مدة أفكّر في التعاقد مع أي شركة متخصصة لإنتاج عطر له صلة بقصائدي..بالشعر.. لكي تتداخل القصيدة بحناء العرائس وعطور الأميرات..ولكي يكون الشعر حياة لا لحظات..عطر تكفي خمس قارورات منه لتعطير كوكب الأرض وسبع قارورات لتعطير المجرة..**"[46].

كما همّش الشاعر لثمانية قصائد، ففي قصيدة "(موناليزا) أنت" رافقتها إحالة بشكل ملاحظة يعتذر فيها الشاعر عن وصف قلب المرأة باليهودي. وامتازت قصيدتي "قلب أخير لسيدة القلب الأخيرة" و "استقالة" بوضع عناوين فرعية مرقمة لهما، فكان في الأولى عنوانين فرعيين هما: -1- قلب ، -2- رحيل، وفي الثانية عنوانين فرعين هما: -1- الرسالة، -2- الرد، فيعطي لكل جزء من القصيدة عنوان فرعي ليمارس وظيفته الإخبارية والإغرائية والإنتباهية والتناسبية والتعاضدية والتنميطية وحتى الدرامية، فتتم الوظيفة بكفاءة وفعالية معتمدة على الدمج بين الفواتح والخواتم [47]، إذ وصف جز القصيدة المعنون بقلب ألمه ومرضه، بينما عبر عنوان رحيل رد فعل القلب عن مغادر ما لا يحتمل غيابه، فكان المعنى تناسبيا وتعاضديا بين الجزئين. بينما حمل التفريع النصي في قصيدة "استقالة" بعنواني رسالة ورد وظيفة حوارية درامية وإغرائية.

المطلب الثاني: البناء التركيبي لعناوين القصائد

بتأملنا إلى البناء التركيبي لعناوين القصائد في دواوين الشاعر نجدها صيغت في شكل جمل اسمية غير تامة التركيب بنسبة كبيرة، والمركب غير التام هو **"ما لا يصح السكوت عليه"** أي يحتاج في الإفادة إلى لفظ آخر ينتظره السامع [48] بينما تنوعت البقية بين الجمل الاسمية تامة التركيب والجمل الفعلية.

نعلم أن الجملة الاسمية لها دلالة الثبوت التي تتجاوز حدود الزمن، وقد ورد كثير من عناوين القصائد جملة اسمية غير تامة التركيب سواء كان العنوان لفظة مفردة معرفة أو نكرة مع اختلاف في دلالات كل منها، وذلك بوقوع اللفظ خبر لمبتدأ محذوف حذفه الشاعر ليفتح المجال للمتلقي في تأويل ماهية المبتدأ، وقد يكون العنوان في الجملة الاسمية غير تامة مكوّن من كلمتين أو أكثر (مضاف ومضاف إليه) خبر لمبتدأ محذوف أو خبر مكوّن من شبه جملة (جار ومجرور) أو ظرف.

أما العناوين التي أتت جملة اسمية تامة التركيب من مبتدأ وخبر، أو جملة فعلية من فعل وفاعل فكانت بنسبة قليلة جدا. وللجملة الفعلية دلالة تنمو وتتطور بفعل الزمن. وهذه الجمل التامة في بنيتها اللغوية فقد تتكون من مسند أو مسند إليه فتكون ثنائية التركيب أو قد تتكون من أكثر من ذلك وهذا ما يرتبط به من علامات ومتعلقات فتكون ثلاثية التركيب أو أكثر فعلية أو اسمية. ولهذه الجمل وجه تركيبي آخر من حيث الدلالة فقد تكون جملة خبرية أو جملة إنشائية ولكل منها دلالتها وإيحاءاتها، إلا أن الجملة الإنشائية تمتاز بكونها ممتدة المعنى غير محددة الدلالة، لانفتاحها على التأويل والإيحاء، كما تتميز بوظائف تعبيرية تتنوع بتعدد أساليبها طلبية كانت أو غير طلبية، كأسلوب الأمر والنهي والاستفهام...الخ.

وردت أغلب عناوين قصائد ديوان "وعيناها.." جملة اسمية غير تامة التركيب من خلال حذف المبتدأ أو تقديره وتثبيت الخبر في العنوان ما عدا أربعة عناوين صيغت جملة فعلية وهي: "قولي لها"، "قولي له"، "لو لم أكن شاعرا"، "أكذب عليّ"، بينما العناوين التي جاءت جملة اسمية فقد تراوحت بين الخبر المفرد المعرفة بـ 'ال' مثل "الأميرة"، "الطريق"، والخبر المفرد المعرف بالإضافة "خطوات (كيدكن لعظيم) في التسلل إلى القصيدة"، "عينا امرأة سياسية"، "أحوال مغامرة تجاوزت رُبع القصيدة"، "جُرحُ عثمانَ"، "أسرار النساء"، "اعترافات طفلة تغرق في شبر ماء")، في حين جاء الخبر المفرد النكرة في: ("تخيلات"، "نسيان"، "خديجة"، "موصلية"، "إشاعات"...الخ)، و قد أكثر الشاعر من العناوين بصيغة الخبر المفرد النكرة لإبهام دلالة النكرة وعدم تحديده المعنى المراد ما ينشط خيال القارئ ويسترجع ثقافته.

كما أن حذف المبتدأ وإبقاء الخبر في العنوان يجعل دلالة المحذوف مفتوحة للتأويل ذلك أن لغة العنوان تمتاز بالاقتصاد اللغوي، فالشاعر يريد إيصال الخبر مسند إلى مبتدأ ترك تقديره للمتلقي، وبذلك تتحقق ذرائعية العنوان من خلال الصلة بين الشاعر والمتلقي

وسياق الاتصال، وهذه الرؤيا تنطبق على جل عناوين قصائد الدواوين الأخرى التي وقع فيها العنوان جملة اسمية غير تامة التركيب.

كما جاءت معظم عناوين قصائد ديوان "مطر يتأمل القطة من نافذته" جملة اسمية غير تامة التركيب ما عدا عنوان واحد "وإذا سألنكِ" صيغ جملة فعلية، وأراد الشاعر من غزارة العناوين التي صيغت خبر لمبتدأ محذوف إعمال الفكر ومخيلة المتلقي لتأويل المعنى، أما الجملة الفعلية الوحيدة سالفة الذكر وإن كانت تدلّ على التحوّل وعدم الثبات لارتباطها بالزمن إلا أنها تفيد معنى الذات فقط، في حين تدل الجملة الاسمية على الذات والموضوع فكان حضورها غالبا في عناوين الشاعر.

جاءت عناوين قصائد ديوان "اللّوح" جملة اسمية غير تامّة التركيب ما عدا عنوان "اسمّي منارة قطبية حبيبتي" الذي وقع جملة فعلية فعلها مضارع يفيد الاستمرار، وقد وظّفه الشاعر توظيفا وجدانيا يصف حبه لذلك المكان (المنارة القطبية)، بينما جاء العنوان "كلمات لعاشقة إنجيلية" جملة اسمية تامة التركيب من مبتدأ وخبر ثابتين.

كغيره من الدواوين جاءت معظم عناوين قصائد ديوان "ممن وقع هذا الزر الأحمر؟" جملة اسمية غير تامة التركيب إلا في بعضها كعنوان "ممن وقع هذا الزر الأحمر؟ الذي صيغ بجملة فعلية استفهامية فعلها ماضي يفيد حدث وقع في زمن سابق، وعنوان "(موناليزا) أنت" الذي جاء جملة اسمية تامة التركيب من خبر مقدّم ومبتدأ (أنت) لأجل إبراز التشبيه، كما نلاحظ وقوع عنوانين جزئيين في قصيدة "قلب أخير لسيدة القلب الأخيرة" أوله بعنوان (قلب) والثاني (رحيل) وكلهما جملة اسمية غير تامة التركيب، خبر لمبتدأ محذوف متروك للمتلقي لتأويله.

لم يحد ديوان "ثم سكت" عما سبقه من الدواوين إذ جاءت معظم عناوين قصائده جملة اسمية غير تامّة التركيب مكوّنة من كلمة مفردة أو أكثر، إلا عنوان "كلمات إلى

حاكم عراقي ليس من (نحن أهلها" وقع جملة اسمية تامّة التركيب من مبتدأ وخبر ثابتين، كما وقع عنوان "أنا لا أفكر في عهدة حب أخرى" جملة فعلية بصيغة النفي.

خاتمة:

اختيرت عناوين الدواوين بتنسيق بصري وسيميائي غاية في الدقة والغموض. فوردت مفردة نحو "اللّوح"، "وعيناها.." جمعت الأولى بين الفطرة البشرية وعظمة الدين الإسلامي مبلور في سمو كتاب الله، وكشفت الثانية عن ذات هاجرت عالمها الدوني وسمت إلى عوالم ومقامات تبغي من خلال معانقة الحقيقة. وتتكرر لدينا صورة الذات المتأملة الحائرة المستفهمة وهي في حال جمعت فيه بين أحاسيس متضادة فيها القلق والنشاط فيها الحب والتوتر فيها الإيحاء والمجهول، تُرجمت كلها في عنوان الديوان "ممن وقع هذا الزر الأحمر؟".

وعن ذات الأحاسيس نتكلم، فلم يكن الشاعر بمعزل عن حال الأمة العربية فأفرغ كل عبارات الغضب والسخط في صمت لعله خاتمة بعد طول كلام أو ربما هو ردة فعل صائبة بديلة عن قول لم ولن يغير وضعا فكان عنوان الديوان "ثم سكت!!".

وبعتبة نصية حملت مفارقة ضدية وإدراك تشخيصي –"مطر يتأمل القطة من نافذته"– اختزلت القطة مدلولات مختلفة فهي المرأة وهي القصيدة وهي المدينة، تزور الشاعر في أحواله المتقلبة فتشهد عن لحظات الإبداع والكتابة.

تزينت الأعمال الشعرية لمحمد جربوعة بعتبات نصية فرعية تمثلت في علامات الترقيم ونظام التفريع النصي وتاريخ ومكان كتابة القصيدة والمقدمة المفردة للديوان والعبارات التي تذيل بها بعض القصائد، فكانت لها أهميتها في البوح بما في الداخل كما ساعدت في تفسير وإنتاج معنى للقول الشعري.

من جانب البناء التركيبي صيغت معظم عناوين القصائد جملة اسمية فوردت غير تامة التركيب سواء كانت لفظة مفردة معرفة أو نكرة مع اختلاف في دلالات كل منها، أو

مكوّنة من كلمتين أو أكثر (مضاف ومضاف إليه) خبر لمبتدأ محذوف أو خبر مكوّن من شبه جملة (جار ومجرور) أو ظرف. وأحياننا جمل اسمية تامة التركيب فجاءت ثنائية التركيب أو ثلاثية أو أكثر. كما ورجت جمل خبرية أو إنشائية ممتدة بدلالاتها وفق للأسلوب كالأمر والنهي والاستفهام. وقليل هي القصائد التي وردت عناوينها جملة فعلية محددة بزمن يتطور مدلولها وفقه.

الهوامش:

[1] الغفيص عبد الله بن محمد: شعرية العنوان دراسة في البنية والوظيفة:شعر محمد الحمد وسليمان العتيق أنموذجا، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد 68، 2021، ص 358.

[2] النجار محمد فكري: العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص 15.

[3] محمد اسماعيل مصطفى حسونة: النص الموازي وعالم النص: دراسة سيميائية، مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية)، المجلد 19، العدد 2 ، 2015، ص 8 .

[4] جاسم محمد جاسم: جماليات العنوان (مقاربة في خطاب محمود درويش)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2013، ص 13

[5] عامر جميل شامي الراشدي: العنوان والإستهلال في موقف النفري ، (دراسة جمالية)، دار حامد للنشر والتوزيع، عمّان، 2012، ص 33.

[6] سعاد الحكيم: المعجم الصوفي، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص 995.

[7] القرآن الكريم: سورة البروج، الآيتين 22-23.

[8] أحمد مختار عمر: اللغة واللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص 195.

[9] القرآن الكريم: سورة آل عمران، الآية 110.

[10] أحمد مختار عمر: مرجع سابق، ص 186.

[11] القرآن الكريم: سورة الحجر، الآية 26.

[12] أحمد مختار عمر: مرجع سابق، ص 185.

[13] محمد جربوعة: ديوان مطر يتأمل قطة من نافذته، البدر الساطع للطباعة والنشر، الجزائر، 2014، ص 202.

[14] محمد جربوعة: ديوان مطر يتأمل قطة من نافذته، مرجع سابق، ص 202.

[15] محمد جربوعة: ديوان مطر يتأمل قطة من نافذته، مرجع سابق.

[16] محمد جربوعة: ديوان مطر يتأمل قطة من نافذته، مرجع سابق.

[17] أحمد مختار عمر: مرجع سابق، ص 184.

[18] محمد جربوعة: ديوان ثم سكت، البدر الساطع للطباعة والنشر، الجزائر، 2014، ص 37.

[19] سعاد الحكيم: مرجع سابق، ص 831.

[20] أحمد مختار عمر: مرجع سابق، ص، ص 162، 185.

[21] محمد الصفراني: التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث (1950-2004): بحث في سمات الأداء الشفهي "علم تجويد الشعر" ، النادي العربي بالرياض والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، 2008، ص 126.

[22] محمد جربوعة: ديوان مطر يتأمل قطة من نافذته، مرجع سابق، ص 45.

[23] مراد عبد الرحمن المبروك: جيوبوليتكا النص الأدبي تضاريس الفضاء الروائي نموذجا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2002، ص 126.

[24] نوال أقطي: سلطة الذات وتهميش الآخر في ديوان (ممن وقه هذا الزر الأحمر؟) لـ محمد جربوعة، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 20، العدد 2، 2020، ص 625.

[25] أحمد مختار عمر، مرجع سابق، ص 184.

[26] المرجع نفسه، ص 185.

[27] محمد الصفراني: مرجع سابق، ص 6.

[28] عبد الواحد بن ياسر: الخطاب المقدماتي، علامات في النقد، جدة، الجزء 47، المجلد 12، 2003، ص 630.

[29] محمد جربوعة: ديوان وعيناها ..، البدر الساطع للطباعة والنشر، الجزائر، 2014، ص 11.

[30] محمد جربوعة: ديوان ثم سكت، مرجع سابق، 2014، ص 179.

[31] محمد الصفراني: مرجع سابق، ص 130.

[32] محمد جربوعة: ديوان ثم سكت، مرجع سابق، ص 191.

[33] محمد جربوعة: ديوان ثم سكت، مرجع سابق، ص 191.

[34] محمد جربوعة: ديوان ثم سكت، مرجع سابق، ص 196.

[35] محمد جربوعة: ديوان اللّوح، البدر الساطع للطباعة والنشر، الجزائر، 2014، ص 58.

[36] محمد جربوعة: ديوان اللّوح، مرجع سابق، ص 5.

[37] القرآن الكريم: سورة القدر، الآية 3.

[38] محمد جربوعة: ديوان اللّوح، مرجع سابق، ص 7.

[39] محمد جربوعة: ديوان مطر يتأمل قطة من نافذته، مرجع سابق، ص 51.

[40] محمد جربوعة: ديوان مطر يتأمل قطة من نافذته، مرجع سابق، ص 78.

[41] محمد جربوعة: ديوان مطر يتأمل قطة من نافذته، مرجع سابق، ص 210.

[42] القرآن الكريم: سورة الشعراء، الآية 226.

[43] محمد الصفراني: مرجع سابق، ص 141.

[44] محمد جربوعة: ديوان ممن وقع هذا الزر الأحمر؟، البدر الساطع للطباعة والنشر، الجزائر، 2014، ص 155.

[45] محمد جربوعة: ديوان ممن وقع هذا الزر الأحمر؟، مرجع سابق، ص 155.

[46] محمد جربوعة: ديوان ممن وقع هذا الزر الأحمر؟، مرجع سابق، ص 49.

[47] شادية شقروش: سيميائية الخطاب الشعري في ديوان (مقام البوح) للشاعر عبد الله العشي، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010، ص 75.

[48] الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د ت، ص 176.